نحو محاولة مقارباتية سياسية للعلاقات الجزائرية المغربية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين.

أ. الميلق عبد القادر*

الملخص:

تسعى هذه الورقة العلمية لتقديم قراءة تاريخية؛ وفق مقاربة سياسية للعلاقات الجزائرية المغربية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين.

كما تهدف إلى البحث في مستويات الموضوع معرفيا ومنهجيا، وهي محاولة تفكيكية لمستويات الموضوع معرفيا، تُفضي بنا إلى معالجة مجموعة من التساؤلات، التي تعتبر الإجابة عنها كلبنة لتأسيس موضوع البحث.

وقد تم معالجة أهم معالم الوضع السياسي لبلدان المغرب الإسلامي، قبل مجيء الأتراك العثمانيين، مع الإشارة إلى أهم مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب، وذلك في سياق البحث عن المبررات التي تحكّمت في رسم العلاقات السياسية بين البلدين.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الجزائرية المغربية، مقاربة سياسية، الوضع السياسي في البلدين، مظاهر العلاقات.

* أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر، بقسم التاريخ، المركز الجامعي بآفلو- الأغواط، الجزائر.

Abstract:

This Scientific document attempts to give a historical reading according to the political approach for the Algerian and Moroccan relations between the sixteenth and the eighteen centuries. It aims to search for the cognitive and methodic topic levels. It is also a dismantling attempt for the cognitive topic level which lead us to addressed some questions, and which answers are considered as a brick to establish the topic of the study.

This research paper exhausts the major's milestones of political situation in the Islamic Maghrebine countries before the coming of the ottomans, with reference to the important manifestations of the political relations between Algeria and Morocco and in the context of researching the justifications which controlled in drawing the political relations between these two countries.

An explanation try according the political approach in Moroccan-Algerian relations between the sixteenth and eighteen centuries.

Key words: Algerian-Moroccan Relations, Political Approach, the political situation in the two countries, aspects of relations.

مقدمة:

جاءت هذه الورقة البحثية؛ كمحاولة لتقديم قراءة تاريخية، وفق مقاربة سياسية للعلاقات الجزائرية المغربية ما بين القرنين السادس عشر

والثامن عشر الميلاديين، إذ يتحتّم على الباحث استعراض الحفريات المعرفية للموضوع، والمتمثلة في البحث في عُمق ثنائية الذاكرة الجماعية والتاريخ.

لأن الذاكرة الجماعية تُشكّل قراءة وجدانية لاتفتقر إلى موضوعيتها الخاصة، فهي تُعلي وتلفق وتقصي ما تقوم بتناقله من أخبار حول منجز الأجيال التي سبقتها، وهي تعيد ترتيب الأحداث من وجهة نظر حاجياتها الحاضرة، التي يختلط ضمنها الموضوعي بالذاتي والشخصي بالعام[1].

وبين ما يسمى بالتاريخ؛ فهو المحصّلة لعمل المؤرخين، الذين يتصدون لإنتاجه وفقا لتقنيات معرفية ومهنية مضبوطة، تتعامل مع مخلفات الماضي بالمسافة، وتعالجها بشكل بارد يحاول قُصارى جُهده تفادي جميع أشكال الانطباعية والانحياز[2].

إن عملية الجمع بين ما يسمى بالذاكرة الجماعية والتاريخ؛سيّما فترة الدراسة تتطلب منا نهج تأريخي، تحت مسمى النص التاريخي الجديد، الذي يكون حصيلة تحرر أساسه الوعي بالذات وجهد علمي مركز على تحليل المادة التاريخية وإستخلاص النتائج منها[3].

وقد بسطت في بداية الحديث عن أساسيات تعتبر من ضمن المحددات المنهجية لموضوعنا؛ قضية الذاكرة والتاريخ. ذلك أن مايتدوال حاليا في الأوساط المغربية وحتى الجزائرية حول طبيعة العلاقات بينهما، تشوبه كثير من الضبابية والغموض. سواء على مستوى المعرفة التاريخية، أوعلى مستوى القراءات التاريخية السياسية لها، وبين هذين السبيلين نجد عامل آخر، يتمثل في تباين الطروحات وأبعاد النظر لدى الأوساط في البلدين، وحين نقول :الأوساط فهي، إما الأوساط الرسمية، أو الأوساط الشعبية لدى الطرفان.

ويسجل الباحث تفاوتت هذه الضبابية، التي تطورت إلى إحتدام سياسي وإعلامي، بل حتى معرفيا؛ نتيجة مواقف تاريخية مضادة. لأن هذه الإعتبارات السابقة، هي التي ستشكل محور هذه الورقة العلمية.

- أولا: <u>مستويات موضوع الورقة العلمية منهجيا</u>:

إن تناولنا لتاريخ العلائق[4] بين المراكز والهوامش[5]، في كل من الجزائر والمغرب، يشكّل إضافة إلى مجتمعات كبرى في الشرق الأوسط[6]؛ العرب، الأتراك، الإيرانيين، لما فيه من إثراء عميق في التاريخ الحديث[7].

ثم إن مستخرجات موضوعنا تربوية، أكثر منها إعلامية وإخبارية، هذه الغائية تعتبر من حسنات الخطاب التاريخي الدبلوماسي[8].

كما أن الإفرازات الإدارية، هي التي طبعت القرن الثامن عشر ميلادي، والمتمثلة في النظام اللامركزي الإداري في الدولة العثمانية، الذي وصل إلى قوة ذروته فيه، خصوصا في الولايات العربية[9] الأمر الذي أرسى دعائم مستجدة، ساهمت إلى حد كبير في قولبة طبيعة العلاقات بين البلدين.

وهناك أمر آخر، يعتبر في غاية الأهمية، يجب التنويه إليه قبل الخوض في استعراض أطوار العلاقات بين البلدين، وهو تسجيل ملحوظة مهمة، تتعلق بإشكال خطير، ويتمثل في كيل الإنتقادات الضاربة على وتر الوطنية والوطن؛ مكمنها الأساسي عند البعض قضية الحدود بين البلدين، بغض النظر عن مسبباتها[10].

إن مسألة الحدود بين البلدين، قد شابتها فيها ضبابية منذ نشأتها، فالمفهوم المخزني التقليدي[11]، كان ينهي حدود المملكة المغربية عند نهاية البيعة والولاء للسلطان[12] هذا من جهة، ومن جهة أخرى الاستئناس بنظريات مختلفة لدى الطرفان؛ كنظرية مبدأ التوارث الدولي الذي تستّن الجزائر به[13]، ونظرية

أطروحة الحق التاريخي التي استنّت بها المغرب[14]لتسوية الظاهرة الحدودية بين البلدين. بقي لي أن أشير إلى أن هاته الظاهرة الحدودية بين البلدين شكّلت خط حدودي أول من نوعه،ليس فقط في تاريخ العلاقات بين المغرب والجزائر، وإنما أيضا في العالم العربي بصورة عامة وبإفريقيا كذلك[15].

-ثانيا:مستويات موضوع الورقة العلمية معرفيا:

في محاولة لتتبع أطوار العلاقات بين البلدين، يستوجب أن نتعرف أولا على الوضع السياسي لبلدان المغرب الإسلامي قبل مجيء الأتراك العثمانيين لهذا الفضاء المفتوح على تيارات وإتجاهات ثلاث؛ الإتجاه الأوروبي الوارد، والإتجاه العربي، والإتجاه الإفريقي[16].

فما هي معالم الوضع السياسي لبلدان المغرب الإسلامي قبل مجيء الأتراك العثمانيين ؟وما هي أبرز مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال الفترة الحديثة؟ وما مبررات المقاربة السياسية في صياغة العلاقات بين البلدين؟.

1- معالم الأوضاع السياسية لبلدان المغرب الإسلامي:

تميّز القرن السادس عشر ميلادي ببلدان المغرب الإسلامي بالتدهور الإداري والتهالك السياسي، مقابل التكالب الغزو الأيبيري لسواحل بلدان المغرب الإسلامي.

ففي المغرب الأقصى، تنافس على سلطة فاس كل من الوطاسيون (فرع من بني مرين البرابرة المستعربين(1471-1554م)، مع الأشراف السعديين[17].

وفي الجزائر(المغرب الأوسط)، كان يحكمها بنو عبد الواد أو الزيانيين، ومدينة عرشهم تلمسان.

وكان هؤلاء قد فقدوا قوتهم منذ زمن بعيد، وأصبحوا عاجزين عن الدفاع حيال الإحتلال الإسباني[18].

أما في تونس التي كان يحكمها الحفصيون، منذ سنة 1228م، فقد تدهورت وضعفت قوتهم، الأمر الذي جعلهم يسلكون سياسية التعايش والمهادنة مع الإسبان[19].

وفي هذه الأثناء تواجد الإخوة باربروس بجزيرة جربة التونسية، وعندئذ كان تصرف عروج تماشيا مع ظرفية الأوضاع السياسية للمغرب الإسلامي ككل. وهو عمل استراتيجي لنظم الحكم العثمانية في بلاد المغارب[20]فيما بعد.حيث اقتنع بوجوب تأسيس دولة في شمال إفريقيا، لإمكان صدّ المسيحيين[21].

وفي هذا المقام، يجب أن ننوه بخاصية في الجزائر خلال فترة البحث؛ هي أن القرن الثامن عشر ميلادي كان قرن تهييج وارتفاع لنفسية الجزائريين آنذاك.

ومن شواهد ذلك، استرجاع مدينة وهران على يد الباي محمد الكبير في عام1205هـ/1791م، حيث أن هاته النفسية نمت ووجدت مشتلتها في رسالة[22]كتبها المشرفي كتشنيع على من كان يتعاون من المسلمين في بايلك الغرب مع المحتلين الإسبان ومع أهل الذمة كاليهود[23].

2- مظاهر العلاقات بين الجزائر والمغرب خلال الفترة الحديثة:

إن تتبع تأريخانية العلاقات العثمانية المغربية، حسبما اطلعنا عليه في مظانّ متعددة، يبتدئ مع محاولات ترجمّت في ردة فعل على المستوى الخارجي، فقد عمل كلا من حكام الحفصيين وخلفاء بني مرين بالمغرب الأقصى على إيجاد تحالف مع المعارضة في الداخل[24]، حتى لا تمتد سلطة الأتراك العثمانيين إلى أراضيهما[25]، ممّا يجعلنا نتبين طبيعة العلاقات بين الأتراك

العثمانيين بالجزائر والمرينيين بالمغرب الأقصى في ثوب من الحيطة والحذر والريبة في النوايا والإستراتيجيات، ليس فقط على مستوى المرينيين، بل طيلة عهود الدولة المغربية[26].

الأمر الذي يدعونا إلى القول، بأن العلاقات السياسية بين البلدين، شكّلت نوعا من التحديات الخارجية التي واجهت العثمانيين، إضافة إلى تحدي الإسبان، والزعماء المحليين، وسلطة الحفصيين بتونس[27]، ربما مثل هذه الملاحظات تصلح للمقاربة والموازنة، والتي غُيّبت تماما في المطارحات الأكاديمية!.

إن من بين الأجندات والإستراتيجيات للأتراك العثمانيين في بلاد المغارب؛ العمل على طرد الإسبان من الثغور التي احتلوها في طرابلس وتونس والجزائر، وطرد البرتغاليين من الثغور المغربية المطلة على المحيط الأطلسي[28].

لعل هذا يزيح عن بعض المتعصبين شططهم وغلوهم في نعتهم للأتراك العثمانيين، بأنهم ناوؤا وهارشوا سلاطين المغرب؛ السعديين والعلويين ؟!، هذا أكبر دليل على أن الأتراك العثمانيين؛ راعوا لسلاطين المغرب حق الأخوة الإنسانية والدينية، لابل حق الجيرة.

وعلى إثر هذه الآليات، مدّ الأتراك العثمانيون يد المساعدة لإخوانهم المغاربة.

ومن المقاربات الجديدة في مثل هذه المواضيع، هو تشابه أحداث قيام الدولتين في كل من الجزائر والمغرب الأقصى.

كما يمكن أن يُعزى قيام الأسرة السعدية في مراكش إلى نفس الظاهرة التي اجتذبت الأتراك العثمانيين إلى الجزائر وتونس وطرابلس، وهو العدوان الصليبي الأوروبي في غرب المتوسط[29].

كما شهدت العلاقات الجزائرية المغربية مظهرا جديدا وعهدا فريدا، في عهد الوطاسيين بالمغرب الأقصى[30] فقد اعترف الوطاسيون بالسلطة الرمزية للخليفة العثماني على بلاد المغرب؛ حيث نقشوا اسمه على السكة، ودعوا له في خطبة الجمعة[31] ولعلّ هذا الفعل من لدن حكام بني وطاس صادف هوى ورغبة لدى حكام الأتراك العثمانيين، لأنه لم يعد بالإمكان –حسب منطقهم- أن يشذ هذا البلد المسلم ويند عن سلطة الخلافة الإسلامية[32] عندئذ كانت نواجذ العداوة تبتدئ بينهما، وكانت أيادي الغزو تنوشهما. فلماذا كل هذا الإذعان من طرف الوطاسيين والتّشوف للمغرب من طرف الأتراك العثمانيين؟

تعود هاته الإشكالية للتغيّرات التي حملتها فترة الوطاسيين بالنسبة للمغرب، فقط انتهى عهد تطلعات المغرب الطموحة نحو الأندلس أو نحو المغرب الكبير، وانتقل المغرب إلى الدفاع في مواجهة خطرين أحدهما من الشرق(الأتراك العثمانيين)، والآخر من الشمال (الإسبان والبرتغاليون)[33].

وهناك نقطة تتعلّق بنفوذ و مجال حكم الوطاسيين؛ فقد كان النطاق المجالي لحكمهم حواضري فقط، بل ومع ذلك بشكل اسمي[34] أما مع سلاطين السعديين، فتعود إلى سنة917هـ/1517م، حيث ابتدأت فيها العلاقات بين حكام الجزائر، وسلاطين المغرب بشكل معروف وموثق، وذلك بإقامة علاقات، والتي أنشأها عروج مع السلطان الوطاسي أبي عبد الله محمد،المعروف بالبرتغالي، وذلك عندما امتد حكم عروج إلى مدينة تلمسان في هذه السنة.

كما آل فيها الحكم في جنوب المغرب الأقصى- في السنة نفسها - إلى السلطان السعدي أحمد الأعرج، الذي فتح أيضا باب العلاقات مع الأتراك العثمانيين[35]، كما عرفت هذه الفترة أيضا إقامة علاقات بين قوى سياسية

متشعبة في القطرين؛ كالعلاقات بين الزيانيين والوطاسيين، والعلاقات بين الزيانيين والسعديين[36].

إن القارئ الحصّيف للحكم العثماني، يمكنه أن يربط بين طبيعة نظرة الطرفين لبعضهما وفلسفة الأتراك العثمانيين، وكانت الفكرة السائدة في الحكم آنذاك، هي عدم الثقة؛ خوفا من الخيانة والطموحات الجموحة لبعض موظفي الإمبراطورية[37].فما بالك بنظرتهم نحو المغرب، كيف تكون؟!.

إن نظرة الأتراك العثمانيين شهدت تطورا غير محمود،حينما أرسل السلطان سليمان القانوني سفيره إلى مراكش"أبي عبدالله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي"959هـ/1552، يدعوه فيها إلى تبعيته له[38]، لكن محمد الشيخ ردّ عكس ذلك، وتعرض للسفير رافضا مقترحاته.

ولعلّ هاته المعاملة حكمت على السعديين بالعداء للأتراك العثمانيين، مع بقاء خطر الأتراك العثمانيين قائما[39].

ولا يجب أن يغفل القارئ الحصيف، بأن أساس فلسفة الحكم عند الأتراك العثمانيين، كانت تتّجه نحو مركزة وتوازن القوى[40]، فلاغرو إذا في تفسير طبيعة الصراع بينهما في هذه الفترة، الذي هو وليد العاملين السابقين.

كما نسجل في هذا الشأن حضور كثافة تركية عسكرية في كل موانئ المغرب، مع تسجيل وجود أربعة سفن عاملة في مياه المضيق، يضاف إلى ذلك وجود سفن في كل من بادس وتطوان والعرائش وسلا مع نهاية أكتوبر1561 [41].

إن استعراض العلاقات الجزائرية المغربية خلال الفترة الحديثة، يفضي بنا إلى طرح تساؤل: لماذا استعصى المغرب عن الأتراك العثمانيين حينذاك ؟. لعل الأمر يعود إلى مجموعة من الأسباب والعوامل، نوجزها في الآتي:

أولا:تمسك السعديين بأحقّيتهم في الخلافة من الأتراك العثمانيين، فقد وجدنا خطابا رسميا في مدوّنة الرحلة السفارية للتمكروتي، التي يؤكد فيها على

شرعيتهم بالخلافة، حيث يقول:"...والعثمانيون في جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للإسلام وإن كان أكثرهم وأكثر أتباعهم ممن يصدق القول عليهم قوله صلى الله عليه وسلم يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، إن كانوا إنما حملوا الإمارة وقلّدوا الأمر في الحقيقة وأمانة يؤدونها إلى من هو أحق بها وأهلها هم موالي وسادة الشرفاء ملوك بلاد المغرب..."[42].

ونفس الخطاب، يؤكّده أحمد بن القاضي في معرض حديثه عن شخصية أحمد المنصور،حيث يقول:"...لما طنّت في آفاق العالم حصاته، وتعبت عن حمل حسناته بغزوته حفظة القول وحصاته،فكادت قلوب الناس أن تتفطّر إليه شوقا وودا، أن يكونوا تحت رايته، ومن الذين دخلوا في سلك بيعته..."[43].

ثانيا:تحول التجارة الإفريقية نحو توات فالجزائر(المغرب الأوسط) وتونس، بعد أن كانت الموانئ الصحراوية المغربية هي المسوق والمصدر، على إمتداد مسلك وادي درعة، وسوس، وتافيلالت[44].

هذا التغير ترك حسرة ولوعة في نفوس السعديين ورغبتهم في إرجاع البريق الاقتصادي للواحات الصحراوية، التي كانت مقر سيطرتهم ومنطلق حكمهم ونظامهم السياسي[45].

ثالثا: الوضع السياسي في الجزائر في أواخر القرن التاسع و مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي؛ فالجزائر العثمانية رغم جهودها لعثمنة المغرب، لكنها فشلت في تنفيذ هذا المشروع رغم العديد من الحملات، إلا أنها قبلت بالأمر الواقع، وأبقت المغرب مستقلا عنها، بعد أن كانت تود إخضاعه[46]، ولعلّ آخر محاولة شرعت في القيام بها لإخضاع المغرب ثم تراجعت عن إكمالها قد حصلت في سنة989هـ/1581م[47].

إن تتّبع العلاقات الجزائرية المغربية في عهد السعديين، يعتبر من الصعوبة بمكان الإلمام به في مثل هاته الورقة.ومن المفيد أن نتصفح العلاقات بين البلدين في عهد أعظم سلاطين السعديين، وهو المولى أحمد المنصور الذهبي(1578-1603م)، حيث تميزت العلاقات بين البلدين في عهده بالمراسلات وإيفاد الرسل، فبعد أن ثمّن له البيعة بعث بسفيره "أحمد بن يحي الهوازلي"؛ مبلغا حكام الجزائر العثمانيين خبر انتصاره[48]في معركة وادي المخازن1578م، ثم ما لبث أن أرغمه العثمانيون على تعيين (إسماعيل بن عبدالملك) المقيم في الجزائر مع أمه التركية حاكما على فاس[49]، الأمر الذي لم يوافق عليه المولى المنصور، فراح يتجّهم الرد على السفير العثماني، وطلب منه المغادرة.فلماذا لم يجهز العثمانيون على المنصور؟

تداخلت جملة من العوامل في عدم حصول حملات عسكرية عثمانية، كان قد خطط لها من طرفهم شخصية المنصور الذهبي كانت سببا في عدم حصول حملة عسكرية ضده؛ملاينته وملاطفته للعثمانيين بالوسائل الدبلوماسية[50].

ويعتبر الخطر الأسباني المتزايد على الأتراك العثمانيين، الذين تضايق منهم السلطان المولى المنصور بمطالبتهم تسليم العرائش، سببا في التواصل السلمي بينهم.

وفي الجهة المقابلة نجد أن المراسلات الموجّهة من قبل السلطان العثماني مراد، والتي أرسل من خلالها رسالتان، يقترح فيهما التحالف، وتقديم300سفينة حربية، وقوات تشترك مع المغاربة في مهاجمة اسبانيا[51].وأكثر من هذا، نجد أنه قد عرض عليه السلطان العثماني ابنته للزواج لتوثيق هذا التحالف[52].

هـذه العوامـل كلهـا جعلـت لهجـة السـلطان العثمـاني تتحسـن تجـاه المنصور[53].

بعد هـذا العـرض الموجز عـن طبيعـة العلاقـات بـين الجزائـر والمغـرب في فترة الأشـراف السـعديين، وذلك من خلال بعض النماذج كما مر معنا، نبتدئ عرضـنا لأطوار العلاقـات بـين الجزائـر والمغـرب في فترة الأشـراف العلـويين بطرح تسـاؤل:كيـف كانـت طبيعـة العلاقـات بـين البلـدين في عهـد دولـة الأشـراف العلويين[54]؟

إن التـأريخ للعلاقـات الجزائريـة المغربيـة في عهـد العلـويين، يعـود إلى نجـاح"محمـد بـن الشـريف"(1050-1069هـ/1640-1658م) في وضـع يـده على درعـة ومحـور سجلماسـة بعـد القضـاء على أن(صـار أبي حسـون في درعـة.هـذا الـتحكم في المنطقتـين، كانـت لـه نتـائج، مـن بينهـا أن محـور سجلماسـة يتصـل بصحراء الجزائر[55]، هـذا الاتصـال سـيكون لـه أثر بعيـد المدى في سـير الأحـداث جنـوب المغـرب وشـرقه[56]؛ أي أن الأتـراك العثمـانيين والعلـويين مـن هـذا التـاريخ بالذات جمعت بينهم علائق تتعدد طبائعها حسب ظرفيات كل منهما.

تطلّـع المـولى محمـد بـن الشـريف إلى إقـرار وحـدة وطنيـة في الصـحراء الشـرقية سـنة1061هـ/1650م، نحـو أعـالي غير،والشـمال الشـرقي[57]، ترجمـه عبر رسـائل وجّهـا للأتـراك العثمـانيين، مـذكّرا إيّـاهم فضـل العـرب وأمجـادهم، ومبيّنـا مـوقفهم مـنهم؛ غبلـتم بالحيلـة والمكـر على الغـرب، أي أن الأتـراك العثمانيين ليس لهم شرعية في إيالات المغرب(الجزائر و طرابلس وتونس)، أما عـن مؤسسـهم عـروج فنعتـه بـ:"..قبح الله العلج عـروج المؤسـس لكم بتلمسـان أجمل برج[58].

ويستشف من هذا النص أن نظرته الساخطة على الأتراك العثمانيين، جعلته يقوم بحملة عسكرية على تلمسان وما حولها من الأعراب سنة1064هـ/1653م أيام حكم الباشا عثمان[59].

لم يكتف بهذا، بل واصل زحفه إلى حدود مدينة الأغواط وعين ماضي[60]، عقبها أيضا قام بحملة ثانية على تلمسان سنة1068هـ/1657م[61].

كتب الباحثون المغاربة عن هاته الحملات أنها حملات إقرار للوحدة الوطنية أو ما شابه، لكن الذي يميل إليه الباحث، هو أن المولى محمد بن الشريف قد تمكّن من مدّ نفوذه إلى الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية من الجزائر، استكمالا لسيطرته على محاور أسواق التجارة العابرة للصحراء، كما استحوذ على درعة وسجلماسة المحورين التجاريتين، فعندما كانت تقوم دولة ما في نطاق هذا السوق كان أهلها وبفعل الحاجات المتزايدة للجباية وسحب الخراج يطمعون إلى استلحاق أطراف هذا النطاق وتوسيعه[62]، ولاسيما عندما كان الأمر يتعلق بمنطقة عبور أو مركز تقاطع مواصلات وطرق لسلعة أو مكوس[63]. وقد عقد الأتراك العثمانيون مع مولاي محمد صلحا عند وادي التافنة، واعتبر حدا فاصلا بين أملاك الطرفين[64]. أما مع خلفه المولى الرشيد(1075-1082هـ/1664-1672م)، ففي عهده دخل تحت لوائه تقريبا كل المغرب الشرقي؛ فاتخذ من عناصر الشراقة جيشا نظاميا له، ويشتمل على مجموعات عربية كبني عامر في الجزائر[65].

وكانت سياسته تتجلى في إبعاد خصومه نحو الجزائر بالتحديد، مثل الخضر غيلان سيد تيطوان وسلا، فبعد هزيمته أبعد عن مجال نفوذه عبر سفينة انجليزية إلى طنجة، ومنها انتقل إلى الجزائر[66]، نفس الشيء فعله مع زعيم الدلائيين محمد الحاج وأولاده، حينما هزمهم وقضى على زاويتهم سنه 1668م، حيث أبعدهم إلى فاس ومن فاس نحو تلمسان[67].

وهكذا شهدت العلاقات الجزائرية المغربية في عهد المولى إسماعيل العلوي(1082-1139هـ/1672-1727م)، نزاعا سببه رفض هذا الأخير الاعتراف بواد التافنة كحد بين البلدين، مما أدى إلى توتر العلاقات بين الجزائر والمغرب ودخولهما في حروب طاحنة على امتداد فترة طويلة من حكم إسماعيل العلوي[68]، ترى ماذا فعل به الجزائريون؟

ولإرغامه على قبول واد التافنة كحد بينهما، صمموا العزم على إرغامه بشتى الوسائل، فعمدوا إلى بث الفوضى داخل المغرب، عن طريق التحالف مع أعداء المولى إسماعيل العلوي، كالخضر غيلان وآل النقسيس بتطوان، والدلائيين في سلاو تادلا، وأبي حسون السملالي في درعة، أحمد بن محرز والحران، وابن السلطان محمد العالم في مراكش وتارودانت[69].

وقد واجه المولى إسماعيل العلوي هذا الإستراتيجية بحملات عسكرية وإتفاقيات سلم، نذكر منها:

أ- <u>الحملات العسكرية:</u>

نذكر منها حملة القويعة عند واد شلف1089هـ/1678م، ثم حملة تلمسان 1103هـ/1692م، حملة مولاي زيدان على الجزائر1106هـ/1695م، معركة الجديروة1112هـ/1701م بقيادة إسماعيل العلوي بنفسه[70]، حملة نحو الجنوب قام بها ابن إسماعيل العلوي عبدالملك، حيث تقدم بغاراته حتى عين ماضي[71].

ب- <u>اتفاقيات السلم(المهادنات):</u>

بعد تلمسان توصل الطرفان إلى عقد هدنة بينهما[72]، أيضا تطلعنا المصادر أنه بعد حملة الجزائر أوفد السلطان العثماني مصطفى الثاني سنة1107هـ/1696م؛ مبعوثا حمل رسالتين: الأولى تعبير عن الصداقة والود، والثانية تتناول موضوع شكاية الجزائر إلى اسطنبول من مولاي إسماعيل[73].

وأما عن الجانب العلوي، نجد المولى إسماعيل العلوي يوجه سفارة إلى القسطنطينية لتهنئة السلطان العثماني أحمد الثالث بخبر إنتصار الجزائريين على الأسبان بوهران1120هـ/1708م[74].

نخلص إلى القول بأن العلاقات بين الطرفين، قد تراوحت بين التدخلات العسكرية والبعثات الدبلوماسية، وذلك راجع إلى البنية السياسية للطرفين، وإلى التفاعلات الإقليمية وحتى الدولية.

3- نحو مقاربة سياسية للعلاقات الجزائرية المغربية بين القرنين السادس والثامن عشر:

ينبغي على كل من يتناول موضوعا كهذا، أن يدرك أن المقاربة؛ هي وجه من أوجه الملامسات لزوايا الموضوع المطروح للدراسة. وهي دراسة استقصائية جزئية، تهدف إلى الخروج بفرضيات مغايرة، لنفس الموضوع المطروق من ذي قبل.انطلاقا من مضان متعددة، سواء طرقت من قبل في مثل موضوع يراد له هذا المنهج، أو مضان جديدة أسعفت الظروف الباحث الحصول عليها. إنها تقوم على علم التأويل كما وسمه به بول ريكور[75]؛ فهو عملية فحص لأنماط الفهم القائمة في المعارف ذات التوجه الموضوعي، هذا بعد أن استوفينا المرحلة الأولى؛ مرحلة فحص عملية كتابة التاريخ الإبستيمولوجي، القائم على اللحظات الثلاث؛ الأرشيف والتفسير، الفهم، التمثيل التاريخي[76].

إن الباحث في هذه الومضات النقدية والقراءات الإنتقائية لا يعالج الموضوع من المستوى الثاني، علما أن الموضوع من ناحية هذا المستوى قد تمّ تناوله. بل سيتم التركيز على المستوى الأول، بغية فتح تفكير من الدرجة الثانية يتعلق بشرط إمكانية هذا الخطاب التأويلي الذي يحل محل الفلسفة التأملية للتاريخ بالمعنى المزدوج لتاريخ العالم وتاريخ العقل[77].

مسألة محاولات الأتراك العثمانيين احتواء أو عثمنة المغرب وجدت حقيقة، وهي محاولة أوجدتها الظرفية التاريخية آنذاك، لكنها أخذت نمطيات متعددة، حيث بعد أن استطاع السعديون تشتيت شمل الوطاسيين، وطردهم من فاس(960هـ/1553م)، عندها لجأ أبو حسون الوطاسي هاربا عند الأتراك للعثمانيين، وطالبا معونتهم لاسترجاع ملكه، وتمّ له ذلك بمساعدتهم انطلاقا من الجزائر.

ولكن الشريف محمد المهدي عاد فاستولى على فاس وقضى على الوطاسيين نهائيا، وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي امتد فيها النفوذ العثماني إلى المغرب الأقصى[78].

هذا ما يطلق عليه التدخل العسكري المباشر.قبل هذا وفي عهد الأخوين عروج وخير الدين، تمازجت رؤى العثمانيين للمغرب من زاويتين، نوردهما كما يلي:"...لقي خير الدين ترحيبا ودعما من ملك فاس أحمد الوطاسي بعد أن أظهر خير الدين تعاونه وإستعداده في وضع قوته العسكرية رهن إشارته إذا ما شاء في مهاجمة أي موقع مسيحي على الشاطئ الأفريقي على أن يوفر له الملك الوطاسي شيء من ملح البارود..."[79]، وتشير وثيقة إسبانية إلى أنه في سنة1531غادر باربروس الجزائر مع عدد من السفن التي أرست بتطوان والعرائش وقد تزودت منها بالمؤن والعتاد ثم القمح خاصة، لأن الجزائر عرفت مجاعة[80].

قراءتنا لهذه المواقف التي كانت بين الرجلين، كانت أولا تمثل وجهات نظر رسمية من طرف دولتان، حكم عليهم التعاون وفق ظرف تاريخي صعب تمثل في العدوان الخارجي(الأسبان والبرتغال)، ثم إن نية خير الدين بربروس كانت قائمة على المحافظة على الكيان الوطاسي ممثلا للمغاربة، فلو كان في نيته إسقاط حكم الوطاسيين الرسمي للمغاربة، لأمكنه انتهاز وإهتبال فرصة

العدوان البرتغالي على المغاربة وقت ذاك، فالعلاقات بينهما كانت تدور وفق حفظ التوازن بين الدولتين في المنطقة، والمساندة المعاضدة لبعضهما البعض، دون أن تكون هناك أي نوايا أخرى مثلما كتب سلفا، أو ما ستجود به الأيام القابلة.

نسجل أيضا إمكانية التعاون التقني بينهما؛ فهنا نجد أن خير الدين ونظيره أحمد الوطاسي يقبلان ويعترفان ببعضهما البعض، هذا من الجانب الرسمي، أيضا هذا الإعتراف الرسمي إنعكس على الوضع الشعبي آنذاك لكل منهما.

إن مسألة التحرير وصد العدوان تعود بالأمن والآمان والإستقرار لرعاياهما، ولكن رغم كل التطمينات التي قدمها خير الدين لأحمد الوطاسي، إلا أن هذا الأخير كان يخشى من أن يثب خير الدين على ملكه والإنفراد بحكام الشمال الأفريقي الواحد بعد الآخر[81].

أما الرؤية الثانية، تجلت في نظرة خير الدين وحنكته، في أنه رأى في الملك الوطاسي حليفا له خير منه تابعا[82] هذا يقودنا إلى القول بأن العلاقات بين الدولة العثمانية والمغرب في هذه الفترة، كانت في قسم كبير منها علاقات بين المغرب والجزائر[83].

أيضا من المقاربات في هذا الموضوع، الجانب الاجتماعي؛ أما يسمى بالإمتداد البشري بين البلدين وإنعكاس ذلك على العلاقات بينهما؛ الحضور الشراقي(هو لقب لعرب بادية تلمسان) بحيز بني يزناسن، هذا الحضور والحيز كانت له دلالات مهمة جدا، حيث لعبوا دورهم في التطورات السياسية لفترة طويلة من الحكم العلوي، فنجد هؤلاء قد ناصروا المولى الرشيد(1075-1082هـ/1664-1672م)ضد أخيه محمد بن الشريف في ثورته سنة 1074هـ/1663م، كما إنضم إليه عرب الأنكاد بالشرق أيضا[84].

فلا ينبغي والحال هاته على كل من يتصدى لموضوع المقاربات السياسية العلائقية، أن يغفل مثل هذا الحضور الإجتماعي، لأنه كان دائم الحضور في قضية الولاء والتبعية في موضوع العلائق السياسية، وهذه المقاربة فهمها الغرب الأوروبي تماشيا للبنية البشرية وإمتداداتها في البلدين، إعتبرت أوروبا المسيحية المسلمين أينما كانوا أتراكا، وشملت كلمة أتراك في اللغات الأوروبية أقواما من العرب والمسلمين لم يصلهم الأتراك مثل المغرب الأقصى وغرب إفريقيا[85].

تولّدت لدينا فرضية من خلال ما تمت مطالعته في مثل هذا الموضوع، أن المقاربة السياسية للعلاقات بين محركيها- على المستوى الرسمي- تفاوتت على مستوى وجهات النظر،فالمغاربة نظروا إليها من زاوية، اشتملت على نقطتين[86]:

- مبدأ أحقية الخلافة الذي كان الأشراف السعديون ثم العلويون بعدهم يعتبرون أنفسهم أحق به من الأتراك الذين كانوا يظهرون كمغتصبين للخلافة ومتناقضين بالنتيجة مع القاعدة الشرعية في ذلك.

- مبدأ وحدة المغرب العربي[87]، الذي كان يبدو ضرورة شرعية وتاريخية وقومية(وطنية) في نظر المغاربة.

وكانت نظرة الأتراك العثمانيين للعلاقات السياسية، تتمحور في نقطتين جوهريتين:

أولاهما: الحفاظ على تثبيت الحدود؛ فمدينة تلمسان و إمتداد مجال الأتراك العثمانيين فيه، يطرح مشكل حدودي[88].

ثانيهما: مسؤولية الأتراك العثمانيين بالجزائر في الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية في بلاد المغارب الثلاث، ووصفهم إياها؛ أي الجزائر بمثابة المفتاح الإحتياطي لحاكمنا السامي[89].

إن كنه المقاربة السياسية للمغاربة برز أكثر في عهد السعديين، فالرغبة في توحيد دار الإسلام في ظل خلافة واحدة والإستمرار في الجهاد لطرد الأيبيريين من الشواطئ المغربية عند السعديين؛ سيما عند محمد الشيخ السعدي لم تقتصر على المغرب، بل نجده يوجه ابنه محمد الحران إلى الجزائر، و بالضبط إلى مدينة تلمسان عام 957هـ/1550م، كإحدى الوسائل الأساسية لتأكيد هذه الرغبة[90].

تتجلى المقاربة السياسية للموضوع مع ضبطية معرفية، وأخرى منهجية؛ تمثلت في صيرورة العلاقات، حيث انتقلت من علاقات دولية بين الأتراك العثمانيين والسعديين في منتصف القرن السادس عشر حتى منتصف القرن السابع عشر الميلاديين إلى علاقات إقليمية بين الجزائر العثمانية والمغرب العلوي[91].

لقد أفضى هذا البحث إلى حقيقة أغفلتها كثير من الدراسات الأكاديمية!!، وهو أن البناء الحقيقي للدولة العلوية اعتمد على القبائل العربية التي تقطن في نقطة الحدود بين الجزائر والمغرب.

وأول من تفطن لهذا المولى محمد الشريف، حيث تنقل في بداياته الأولى نحو المناطق الحدودية شرقا وشمالا مع العلم أن المغرب كان متوزعا إلى ولاءات عديدة[92].

ولعلّ السبب في هذا، هو معرفته ودرايته الجيّدة للوسط الاجتماعي، خاصة القبائل العربية التي كانت تقطن غرب الجزائر، كقبائل عرب المعقل التي كانت على خلاف مع الأتراك العثمانيين. فلذلك لم يجد (محمد الشريف) بُداً من استقطابها[93].

وعلى إثر ذلك حصل له المرغوب، فاستند عليها في تحقيق طموحاته وأهدافه التي انطلق منها هذه المرة من الجنوب[94].

فيما نجد مقاربة أخرى مفادها أن الجزء السابع من المغرب؛ كما وسمه المؤرخ المغربي "عبد الهادي التازي" على حد قوله بسبعة مغارب، ينساب فيه النفوذ العثماني (التركي) في أطراف الجهات الشرقية للمغرب[95].

وتبرز المقاربة السياسية للموضوع بين البلدين، أكثر وضوحا وعلمية، بل حتى منهجيا في عهد المولى "إسماعيل العلوي"(1082-1139هـ/1672-1727م)، لماذا؟.

الملاحظ أن كل دول المغرب في تكوينها، عرفت مسارا واحدا. لكن بالنسبة للدولة العلوية مرت بمراحل، أولها مرحلة الدعوة الدينية على يد المولى علي بن الشريف السجلماسي، الذي كان رجل دعوة وإصلاح[96]، جاء بعده ابنه محمد ليبلور فكرة الإصلاح إلى مبدأ دولة[97]، ثم جاء من بعده أخوه المولى الرشيد، فأخذ ينشئ الدولة في أطراف من المغرب[98]، ليكتمل عنقود التأسيس الحقيقي لهذه الدولة على يد المولى إسماعيل ويجعل منها أقوى دولة وأطول عمرا من مختلف الدول[99].

ومن خلال الحفر المعرفي لموضوع البحث، فإن محاولة تفكيك خارطة الفعل التاريخي بين البلدين من القرن السادس عشر إلى غاية القرن الثامن عشر الميلاديين[100]، حيث تتقاطع اهتمامات المصالح العثمانية الجزائرية ذات التوجهات الدفاعية، ومصالح المغرب ذات الأبعاد التوسعية، يدفعنا إلى الخروج باستنتاجات نجملها فيما يلي:

- تبيّن للباحث بأن الطموح المغربي؛ ومنها الطموحات الإسماعيلية، التي أوهمت البعض إلى أنها كانت تسعى إلى تأكيد وحدة المغرب العربي، لكنها في حقيقة الأمر أكّدت الأبعاد التوسعية للمغرب، من خلال إقرار المولى إسماعيل العلوي مدينة تلمسان-أثناء حملته-مرتكزا له[101] لتحقيق طموحات أسلافه[102]،

وتخوف المغرب من أن تمتد إليه قوات الأتراك العثمانيين العسكرية، وذلك خشية من تجسيد المشروع العثماني لعثمنة المغرب[103].

- إن القراءة العميقة لمظاهر العلاقات المغربية الجزائرية، في بُعدها السياسي خلال الإطار الزمني للبحث، تؤكد لنا حقيقة مفادها أن التسوية السياسية هي الحلقة المفقودة في مسار العلاقات بين الجارين. فقد شكل الصراع والتآمر والتنافس، عوامل نزع صمام الاستقرار في شمال إفريقيا.

- إن تدهور وتهالك الأوضاع السياسية في كل من الجزائر والمغرب في مطلع القرن السادس عشر ميلادي، قد فسح المجال لأنظمة سياسية وافدة؛ منها الأتراك العثمانيون بالجزائر، والسعديين بالمغرب. وقد اتّسمت العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى بنوع من الحيطة والحذر والريبة في النوايا والإستراتيجيات.

- إن استعصاء المغرب عن الأتراك العثمانيين آنذاك، يعود إلى جملة من العوامل، نذكر منها: تمسك السعديين بأحقّيتهم في الخلافة من الأتراك العثمانيين، وتحول التجارة الإفريقية نحو توات فمراكز التجارة العابرة للصحراء بالجزائر وتونس.

يضاف إلى الوضع السياسي للجزائر في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر ميلادي، لأن الدولة العثمانية قد مالت إلى الضعف وقبلت بالواقع في المغرب.

- إن تحقيق جوار سليم في العلاقات المغربية الجزائرية مرتبط بثلاثة مستويات متداخلة، يؤثر كل منها على الآخر. أولها: يتعلق باعتراف كل طرف بمكانة ودور الآخر في صياغة التاريخ المشترك للمغرب الكبير. ثانيها: بلورة تصور نظري لتخليص هذا التاريخ من كل الشوائب وعناصر الصدام والتنافر. ثالثها:

تأسيس روابط قوية في الجانب الثقافي أولا، وفي باقي القطاعات، مع تشجيع أواصر الترابط بين الشعبين المحكوم عليهما بالتعايش جنبا إلى جنب.

الهوامش:

1. لطفي عيسى:بين الذاكرة والتاريخ في التأصيل وتحولات الهوية، أفريقيا للشرق، الدار البيضاء2015، ص6.
2. لطفي عيسى:المرجع السابق، ص6.
3. ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2014، ص ص167-168.
4. لعلنا هنا يجب أن ننوه بأن موضوع العلائق أو التاريخ الدبلوماسي ينظر إليه من بعض كبار المؤرخين في المغرب وغيره،على أن الخوض فيه يعتبر تمضية للوقت،ينظر: عبد الرحمان ابن زيدان العلوي:العلائق السياسية للدولة العلوية، تحقيق:عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة الملكية، الرباط1999، ص ص27-28.
5. الرابط الذي يجمع بين مفاصل المركزية واللامركزية بالنسبة للدول، هو العلائق؛إذ هي علم تعامل الدول فيما بينها وتأثير ذلك التعامل على مسيرة كل مجتمع من المجتمعات المعنية، ينظر: عبد الرحمان ابن زيدان العلوي:المرجع السابق، ص28.
6. يتردد اسم الشرق الأوسط على أنه الإقليم الذي يشتمل على الدول الممتدة من إيران إلى مصر ومن تركيا إلى اليمن، وقد يضيف كاتب أو هيئة ليبيا والسودان أو إحداهما، أو برقة وشمال السودان فقط، وبذلك يقتصر الشرق الأوسط على مجموعة دول غرب آسيا بإضافة مصر- والسودان وليبيا في بعض الأحيان- وتخرج اليونان، برغم أنها حضاريّا (= طرق المعيشة وكثير من العادات والنشاط الإقتصادي) تشبه إقليم الشرق الأوسط،ينظر حول هذا المصطلح حضاريا وثقافيا وسياسيا: محمد رياض:الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكيا مع دراسة تطبيقية على الشرق

الأوسط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة2012،ص ص222-223.

7. سيّار الجميل:وجهة نظر عربية في مسألة الهوية، ورقة علمية قدّمت إلى:أعمال ملتقى الحوار العربي-التركي بين الماضي والحاضر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت2010،ص320.
8. عبد الرحمان ابن زيدان العلوي:المرجع السابق، ص29.
9. سيّار الجميل:المرجع السابق، ص329.
10. فيه بعض الكتاب من يعزو ظاهرة الحدود إلى العثمانيين، فهذا الكاتب عبد الله إبراهيم يذهب إلى أن كلمة الحدود بمعناها الراهن، كانت هدية الأتراك العثمانيين إلى الشمال الإفريقي.ينظر كتابه:صمود وسط إعصار:محاولة في تفسير تاريخ المغرب الكبير، ط2، الدار البيضاء 1976، في حين يتفق المؤرخين والباحثين ظاهرة الحدود بشكلها الحالي إلى الدور الاستعماري الحديث، ينظر:محمد رضوان:منازعات الحدود في العالم العربي مقاربة سوسيوتاريخية لمسألة الحدود العربية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء1999، ص39.
11. المخزن هو مايعبر عنه المؤرخ المغربي عبد الله العروي، بالدولة المعاصرة، بعد أن طالت معاشرته للوثائق كما يقول هو عن نفسه، ينظر: عبد الله العروي:مفهوم التاريخ(الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول)، ط4،م.ث.ع، الدار البيضاء، المغرب2005، ص249.
12. محمد رضوان:المرجع السابق، ص43.
13. هذه النظرية نص عليها اتفاق فيّينا 1978م المتعلقة بالتوارث في مجال المعاهدات، والذي يقضي بأن تغيير أنظمة الدول وتعاقبها لا تمس في شيء بأنظمة الحدود ولا بالأنظمة المرتبطة بالمجالات الإقليمية الأخرى، ينظر: محمد رضوان:المرجع السابق، ص88.
14. المرجع نفسه، ص93.
15. محمد رضوان:المرجع السابق، ص40.

16. عبد الكريم غلاب:دور المغرب في الوحدة العربية والوحدة الإفريقية، في مجلة البينة، مجلة تصدرعن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الإسلامية، المغرب1962، العدد الأول، ص26.
17. يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري 629-1341هـ/1231-1922م، تر:عدنان محمود سليمان، مر:محمودالأنصاري، د.ع.م، بيروت2010 ، 4مج، مج1، ص240.
18. يلماز أوزتونا:المرجع السابق،ص240.
19. يلماز أوزتونا:المرجع السابق،ص245.
20. نفسه، ص240.
21. استعملنا كلمة المغارب للدلالة أولا على الطابع السياسي والإداري لكل من الجزائر والمغرب وتونس في العهد العثماني، وثانيا قيام هنري تيراس(Henri Terrasse) بتقديم وصف جغرافي مهم للمغرب الأقصى، إذ تحدث عن واجهتيه المتوسطية والأطلسية وبوابتيه الشرقية والجنوبية الصحراوية. وعمد تيراس إلى تقسيم المغرب إلى ثلاث مغارب: المغرب الداخلي المتسم بالاستقرار والتنظيم المحكم أي بلاد المخزن، والمغرب الخارجي الذي يضم الواحات وهو محط الأطماع، ومغرب الجبال.

-Voir: Ahmed Balafrej, Histoire du Maroc by Henri Terrasse, Middle East Journal, Vol. 7, No. 2 (Spring, 1953), pp 250-252.

21. عنوان هاته الرسالة "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم:محمد بن عبدالكريم، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).
22. حنيفي هلايلي:عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، في مجلة الحوار الفكري، مجلة محكمة تصدرعن مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر2005، العدد السابع، ص146.
23. تتمثل المعرضة الداخلية في الإمارات المحلية كمشيخة الثعالبة بمدينة الجزائر، وإمارتي كوكو وبني عباس ببلاد القبائل، ومملكة بني زيان بتلمسان.

للمزيد من الاستزادة ينظر:مجهول:غزوات عروج وخير الدين، تحقيق:نور الدين عبدالقادر، مطبعة الثعالبة، الجزائر1934.

25. أسماء ابلالي:ردود الفعل المحلية الجزائرية على قيام سلطة الأتراك العثمانيين في الجزائر(1517-1561م)، في مجلة إسهامات للبحوث والدراسات، مجلة محكمة تصدرعن كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، الجزائر2016، العدد التجريبي، ص214.

26. زهراء النظام:العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية-ثقافية خلال القرن 10هـ/16م، دار الأمان، الرباط2015.

27. محمد دراج:الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الإخوة بربروس1512-1543، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر2015، ص ص219-220.

28. أحمد طرابين:التجزئة العربية كيف تحققت تاريخيا؟، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت1987، ص43.

29. أحمد طرابين:المرجع السابق، ص57.

30. نلاحظ هنا أن العلاقات بالباب العالي كانت تتم عبر رافدين؛ فالاتصالات كانت من الجزائر وبخاصة المجاهد عروج، التي كانت تعني الاتصال باسطمبول، إلا أن هناك فترات من التاريخ سجلنا فيها الإتصال المباشر بالقسطنطينية، يراجع:عبدالهادي التازي:الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 3،2011مجلدات، مجلدص328.

31. أبو القاسم الزياني:الترجمان المعرب عن ملوك دول المشرق والمغرب، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، د659، ص347.

32. محمد حجي:التهديد العثماني وتأسيس الدولة السعدية، ورقة علمية قدمت في:مذكرات من التراث المغربي، المغرب(د.ت)،8 ج، ج3، ص142.

33. محمود علي عامر ومحمد خير فارس:تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى-ليبية"، م.ج.د، دمشق1999-2000، ص11.

34. محمد الصغير الوفراني:نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي،تصحيح:السيد هوداس، مطبعة بردين، أبجي1888، ص10.

35. عمر بن خروف:العلاقات بين الجزائر والمغرب(1517-1659)،عرض وتقديم، في مجلة الدراسات التاريخية، مجلة دورية يصدرها معهد التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر1986، العدد الأول، ص141.
36. عمر بن خروف:المقال السابق، ص142.
37. هاميلتون جب وهارولد بوون:المجتمع الإسلامي والغرب، دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد، ترجمة وتحقيق:أحمد إيبش، دار الكتب الوطنية، الإمارت العربية المتحدة2012 ،2ج، ج1،ص288.
38. يذكر الوفراني أن هذه السفارة كانت لغرض المهادنة بينهما، وتحديد البلاد بينهما، يراجع: محمد الصغير الوفراني:المصدر السابق، ص42.
39. هاميلتون جب وهارولد بوون:المرجع السابق، ص288.
40. H.Terrasse:Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947,2Tome, T2.
41. Henry de Castries: S.I.H.M,Ang,t1,P P160-162.
42. علي بن محمد التمجروتي:النفحة المسكية في السفارة التركية(1589)، تحقيق:محمد الصالحي:، دار السويد، لندن 2007، ص147.
43. أحمد بن القاضي:المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، تحقيق: محمد رزوق، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط1986 ، 2ج، ج2، ص846 .
44. محمود علي عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق ص32.
45. -H.Terrasse:Histoire Du Maroc, Edition Atlantide, Casablanca1947,2Tome.
46. -عمر بن خروف:مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن 10هـ/16م، في مجلة المؤرخ، مجلة يصدرها اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر2002، العدد الأول،ص176.
47. عمار بن خروف:المقال السابق، ص176.
48. محمود علي عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق ص61.
49. نفسه، ص61.

50. نفسه، ص61.
51. نفسه، ص62.
52. نفسه، ص62.
53. نفسه، ص62.
54. يرجع نسب الأشراف العلويين إلى جدهم الأعلى الحسن بن قاسم، الذي وفد الى المغرب سنة664هـ/1265م من ينبوع النخيل ببلد الحجاز في أوائل عهد الدولة المرينية،أين استقر بسجلماسة،ينظر: أحمد بن عبد العزيز العلوي:الأنوار الحسينية 1101هـ/1689م،تحقيق:عبدالكريم الفيلالي، نشر وزارة الأنباء، المغرب(د.ت)، ص12.
55. إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ، ط2، دار الرشاد الحديثة، المغرب1994 ،3ج، ج3، ص20.
56. إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص20.
57. نفسه، ص22.
58. محمد الضعيف الرباطي:تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعدية1165-1233هـ)، ط1، تحقيق:أحمد العماري، دار المأثورات، الرباط1986، ص ص24-29.
59. يسميه إبراهيم حركات ب"عصمان"، أما عند الضعيف يورده تحت اسم"عثمان"، لكن محققه أثبت أنه عصمان، ينظر: إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص22، محمد الضعيف الرباطي:مصدر سابق،ص19، لكن البحاثة المغربي الرحوم"عبدالهادي التازي"قال بأنه "أحمد باشا"، ينظر: عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، عهد العلويين، مطبعة فضالة، المحمدية1988 ،9ج،ج9، ص ص10-11.
60. محمد الضعيف الرباطي:مصدر سابق، ص21.
61. لعل إبراهيم حركات التبست عليه قضية أن الباشا عصمان في رسالته الموجهة للمولى محمد بن الشريف، التي عاتبه فيها، قائلا له:"...ولو لاكا ماثار علينا أهل تلمسان وأنكروا مالنا عليهم من قديما من أسمى الحنانة..."، ينظر: محمد الضعيف =الرباطي:مصدر سابق، ص22، فهي

ثورة قام بها التلمسانيون بإيعاز من المولى محمد بن الشريف، وليست حملة مباشرة منه.أما عن رأي إبراهيم حركات حول الحملة الثانية، ينظر: إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص22.

62. وجيه الكوثراني:صورة الدولة السلطانية في الوعي التاريخي العربي:جدلية الوحدة والتعدد، في مجلة الاجتهاد، مجلة تعنى بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي، بيروت1994، السنة السادسة، العدد23، ص182.
63. وجيه الكوثراني:المقال السابق، ص182.
64. محمود علي عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق، ص79.
65. إبراهيم حركات:المرجع السابق، ص25.
66. محمود علي عامر ومحمد خير فارس:المرجع السابق، ص82.
67. نفسه، ص82.
68. أحمد الأزمي:بعض جوانب السياسة الدولية للسلطان مولاي إسماعيل مؤسس الدولة العلوية، رقة علمية قدمت في:أعمال الدورة الأولى لمصادر الدولة العلوية الشرفة، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني 1989، ص182.
69. أحمد الأزمي:المقال السابق، ص183.
70. نفسه، ص ص183-184.
71. نفسه، ص184.
72. A.De Voulx :Tachrifat,recueil des notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger ,Alger1852,p9.
73. عبدالهادي التازي:المرجع السابق، ص18.
74. عبدالهادي التازي:المرجع السابق، ص21، أحمد الأزمي:المقال السابق، ص184.
75. بول ريكور:الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة:جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت2009، ص427.
76. بول ريكور:المرجع السابق، ص427.

77. نفسه ،ص427.
78. أحمد طرابين:المرجع السابق، ص58.
79. جاسم محمد شطب:الإستراتيجية العثمانية في شمال أفريقيا في القرن السادس عشر، مقال منشور عن جامعة الموصل، (د.ت) ، ص61.
80. - Henry de Castries: S.I.H.M, Esp ,t1, P P1-3.
81. Henry de Castries: Op.CiT, Esp,t1,P41.
82. جاسم محمد شطب:المقال السابق، ص61، نقلا عن:عبدالكريم كريم:المغرب في عهد الأسرة السعدية، الدار البيضاء1977، ص55؛ أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الطبعة الثانية، الجزائر1984، ص228.لكنني أستدرك بعض الملحوظات على هذا الاستدلال، فالكاتب شطب أخطأ في إيعاز ما قرأه من بحث الباحث المغربي عبدالكريم كريم؛ فوجدنا أن الباحث المغربي يقول عن أحمد الوطاسي أنه غير من سياسته وذلك بأن أخذ في التقرب من الأتراك العثمانيين في الجزائر، وهذا غير ماذهب إليه الباحث شطب كما مرا معنا في الاستشهاد به.ثم نلاحظه أنه حرّف من عنوان الكتاب؛ فالكتاب عنوانه الأصلي:عبدالكريم كريم:المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، الطبعة الثالثة، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط2006، ص55.
83. عمر بن خروف:العلاقات بين الجزائر...، مقال سابق، ص139.
84. إبراهيم حركات:المرجع السابق،ص23.
85. عبد الكريم غرايبة:عرب الماء والإنسان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006، ص34.
86. محمد الضعيف الرباطي:مصدر سابق، ص19، هامش رقم:(152).
87. هذه النقطة بالذات تلاقت فيها طموحات الطرفين، فنجد عند الداي شعبان خوجة الذي حكم تقريبا في الربع العقد الأخير من القرن السابع عشر، نية استمرار حروبه ضد حكام تونس وفاس، من أجل تحقيق وحدة كل الأقطار المغاربية تحت سلطته، ينظر: المنور مروش:دراسات عن تاريخ

الجزائر في العهد العثماني، القرصنة، الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر2009 ،2ج، ج2، ص338.

88. محمد الضعيف الرباطي:مصدر سابق، ص19، هامش رقم:(152).

89. في هذا الشأن ينظر رسالة حاجي شعبان داي الجزائر إلى لويس الرابع عشر، بمعسكر تونس، بتاريخ 11محرم 1106هـ/الموافق1سبتمبر1694م:

Eugène plantet:Voir-deys Alger avec la cour de Correspondance des : pp430-444. T2, , 2T,8891 France, (1579-1833),Paris

90. محمد القبلي:تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط2011، ص377.

91. محمد علي داهش:العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث(1650-1830)، جامعة الموصل(العراق)،(د.ت)، ص161.

92. أصبح المغرب في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/منتصف القرن السابع عشر الميلادي سبعة مغارب!فإلى جانب بقايا السعديين الذين كانوا يتشبثون ببعض الأطراف، نجد الدلائيين يستولون على فاس ونواحيها، بينما كرّوم الحاج يحكم مراكش وجهاتها، وكان أبوحسون صاحب إيليغ يستبد بسوس، وكان المقدم الخضير غيلان ببلاد الهبط:والرئيس أعراس، يستأثر بنواحي الريف، هذا إلى إحتلال بعض الثغور المغربية سواء من طرف الإسبان أو البرتغال على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ينظر:عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...، مرجع سابق،ص9، عبدالهادي التازي:الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب2002، ص135.

93. محمد علي داهش:المقال السابق، ص163.

94. نفسه، ص163.

95. عبدالهادي التازي:التاريخ الدبلوماسي...،مرجع سابق، ص9.

96. عبد الكريم غلاب:قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس الجزائر،د.غ.إ، بيروت200 3،5ج، ج3، ص8.

97. عبد الكريم غلاب:المرجع السابق، ص8.

98. نفسه، ص8.

99. نفسه،ص8.

100. بالنسبة للقرن الثامن عشر الميلادي؛كانت فيه تجربتان:- التجربة الإسماعيلية،- تجربة السلطان العلوي محمد بن عبد الله(1170-1204هـ/1757-1790م) التي اعتبرت تجربة مغايرة؛ شكلا ومضمونا في موضوع المقاربة السياسية للعلاقات الجزائرية المغربية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، وهذا مانعتزم على تناوله بالدراسة والتحليل إن شاء الله في قابل الأيام.

101. عبد الكريم غلاب:المرجع السابق، ص12.

102. فكرة توحيد المغرب العربي حققها المرابطون والموحدون، فيما فشل فيها المرينيون.

103. عبد الكريم غلاب:المرجع السابق، ص12.